ملخّص برنامج الخاتمة - الحلقة (١٤٨) - اعرف امامك (ج٤٧)
صحائف العقيدة السليمة - القسم(41)
الصحيفة (٥) - شؤون عقيدة التوحيد (ق١٧)
الشأن (٣) - العبادة التوحيدية (ج٢)
الاحد : ١٧/شوال/١٤٤٢هـ - الموافق ٣٠/٥/٢٠٢١م
عبد الحليم الغزّي

في (معاني الأخبار) للشيخ الصدوق / طبعةُ مؤسَّسة النشر الإسلامي / قم المقدَّسة / صفحة (٣٤٩)، في الباب الَّذي عنوانهُ (معنى العبادة): **بسنده، عَن خَيْثَمَةَ بنِ عَبْد الرَّحْمن الجُعْفي، قَالَ: سَأَلَ عِيسَى بنُ عَبْد الله القُمِّي أَبَا عَبْد الله** - إمامنا الصّادق صلواتُ الله عليه، يقول: **وَأَنَا حَاضِر** - ما هو سؤالُ عيسى؟ - **فَقَال: مَا العِبَادَة؟** - فأجابَ الإمامُ بهذا الجوابِ الـمُجملِ والْمُفصّلِ في آنٍ واحد، الإمامُ هكذا قال: **حُسْنُ النِيَّةِ بِالطَّاعَةِ مِنَ الوَجْه الَّذي يُطَاعُ اللهُ منْه** - إنَّهُ أفضلُ تعريف للعبادة.

إنَّهُ الوفاء ببيعة الغدير، بحسبِ مضمونها الصحيح تلكَ هيَ العبادةُ، وذلكَ هوَ برنامجُ الحياة الَّذي أشارت إليهِ الآيةُ السادسةُ والخمسون بعد البسملة من سورة الذاريات: ﴿**وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ**﴾.

فالعبادةُ هي هذه: **حُسنُ النِيَّةِ بِالطَّاعَة** - حسنُ النيّةِ بالطّاعة إنَّما يتحقَّقُ بعدَ أن نُبايع بيعةً واعيةً، بعدَ أن نُبايعَ إمام زماننا.

الوجهُ الَّذي يُطاعُ الله منه: (هوَ الإمامُ المعصوم)، والعبارةُ دقيقةٌ مثلما بيّنتُ لكم نحنُ لا نستطيعُ أن نتواصلَ معَ الله هكذا بشكلٍ مُطلق، هناكَ بابٌ هو فتحهُ لنا، هناكَ وجهٌ هو وجّهنا إليه، هناكَ سببٌ هو جعلهُ فيما بيننا وبينهُ، الكلامُ هو هو الَّذي تقدَّم، الإمامُ الصَّادقُ يختصرهُ في هذهِ الكلمات القليلة؛

العبادةُ هي هذه: (**حُسْنُ النِيَّةِ بِالطَّاعَةِ مِنَ الوَجه الَّذي يُطَاعُ اللهُ مِّنه**)

هذه النيّةُ كيف تتحقَّقُ؟!

تحتاجُ إلى معرفة سديدة، تحتاجُ إلى عقيدة سليمة حتَّى تكون النيّةُ سليمةً، حتَّى تكونَ النيّةُ حسنةً، (**حُسْنُ النِيَّة**)، كيف تكونُ النيّةُ حسنةً والعقيدةُ ليست سليمةً؟! هل يمكنُ أن نتصوَّر ذلكَ بشكلٍ منطقي وواضحٍ وجليّ؟ العقيدةُ ما هي بسليمةٍ والنيّةُ تكونُ حسنةً؟! العبادةُ تتوقَّفُ على النيّةِ الحسنة والنيّةُ الحسنةُ تتوقَّفُ على العقيدةِ السليمة.

والعقيدةُ السليمةُ تتوقَّفُ على أمرين:

- **الأمرُ الأوّل**: أن نأخذها من المنابع الصحيحة الأصيلة.

- **والأمرُ الثاني**: التوفيقُ من قِبلِ إمامِ زماننا.

أمَّا هذا الهراءُ في كُتب العقائد في حوزة النَّجف فهذا ضلالٌ في ضلالٍ في ضلال، ألا لعنةُ الله على منهجِ حوزة النَّجف، منهج الضلالِ والانحرافِ والابتعاد عن إمامِ زماننا.

فهذه المضامينُ لا تتحقَّقُ إلَّا بتحقُّقِ العقيدة السليمة، فالعبادةُ هذا هو تعريفها: (**حُسْنُ النِيَّةِ بِالطَّاعَةِ مِنَ الوَجْه الَّذي يُطَاعُ الله مِّنه**)، فإنَّ الله حينَ أمرَ الملائكة أن يسجدوا لآدم وضعَ لهم أنموذجاً مُصغَّراً عن البرنامجِ الأعظم.

روايةٌ جميلةٌ عن أبي ذر رضوان الله تعالى عليه ينقل لنا فيها وصيَّةً لرسول الله صلَّى اللهُ عليه وآله وصَّاهُ بها:

في الجزء الأول من (وسائل الشيعة) للحُر العاملي رضوان الله تعالى عليه / طبعة المكتبة الإسلامية، وهي طبعةٌ مشهورةٌ معروفة / طهران - إيران / صفحة ٣٤ / من أبوابِ مُقدِّمة العبادات / إنَّهُ البابُ الخامس الَّذي عنوانهُ (وجوبُ النيّة في العبادات الواجبة واشتراطُها بها مُطلقاً) / الحديثُ الثامن.

النَّبي الأعظمُ صلَّى الله عليه وآله يوصي أبا ذر: **يَا أَبَا ذر لِيَكُن لَكَ فِي كُلِّ شَيء نِيَّةٌ حَتَّى فِي النَّومِ وَالأَكْل** - فبإمكاننا أن نُحوِّل جميع أجزاء حياتنا في برنامج العبادة الواسع إلى عبادات ضمن برنامج العبادة الواسع، ﴿**وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ**﴾، برنامجُ العبادة هنا برنامجُ حياة واسع، بإمكاننا أن نجعلَ كُلَّ شيء يتحرَّكُ في هذا البرنامج أن نجعل منهُ عبادةً مخصوصةً، فمثلما هناك صلاةٌ واجبةٌ خصَّصها مُحمَّدٌ وآلُ مُحمَّد لنا، يُمكننا أن نجعلَ أكلنا ونومنا، أن نجعلَ قضاء الحاجة في بيت الخلاء أن نجعل من ذلك عبادةً - **لِيَكُن لَكَ فِي كُلِّ شَيء نِيَّةٌ حَتَّى فِي النَّومِ وَالأَكْل** - في كُلِّ شيء، هذا إذا استطعنا أن نرسم برنامج حياتنا بهذه الطريقة الَّتي يتحدَّثُ عنها رسول الله صلَّى اللهُ عليه وآله.

- أن نجعل نومنا في طاعة إمامِ زماننا، أن نجعلهُ سبباً كي نستريح من عناء الحياة في نهارنا وأن نجعل نومنا لأجلِ أن نستعين بهِ على خدمة إمامِ زماننا في اليوم القادم من أيامِ حياتنا.

- وأن نجعل طعامنا سبباً للحفاظ على قُوّة أجسادنا وعلى عافيتنا لأجلِ أن نُوفِّر هذه القُوّة وهذه الأجسادَ في خدمة إمامِ زماننا.

تذكَّروا ماذا قال إمامنا الصّادقُ صلواتُ الله وسلامهُ عليه حين سُئل عن القائم فماذا قال؟: (**لَو أَدْرَكتُهُ لخَدَمْتُهُ أَيَّامَ حَيَاتِي**)، هذه الخدمةُ لابُدَّ أن تكونَ خدمةً ممتازةً، فلابُدَّ أن تكونَ مُقدِّماتُها مُقدِّمات ممتازةً أيضاً، أن نُحوِّل مُقدِّماتها إلى عبادة، أن نجعل نومنا، وأن نجعل كُلَّ نشاط من نشاطاتنا تُؤدِّي إلى خدمةِ إمامِ زماننا، أن نجعل من كُلِّ ذلك عبادةً، حينئذٍ برنامجُ الحياةِ سينقلبُ انقلاباً كاملاً، وحينئذٍ سنستشعرُ طعم الخدمة للحُجَّة بنِ الحسن..

في معاني الأخبار:

صفحة (٤٨٥)، البابُ الَّذي عنوانهُ (معنى أفضلِ أجزاء العبادة) ، تقدَّم الحديثُ في تعريف العبادة، ما هو أفضلُ جزء من أجزاء العبادة؟: **بسنده، عَن إسمَاعيل بنِ مُسلم، عَن إمَامنَا الصَّادق عَنْ أبيه البَاقر عَن آبَائه، صَلواتُ الله عَليْهم، قَالَ، قَالَ رَسُولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَآله: العِبَادَةُ سَبْعُونَ جُزْءاً وَأَفْضَلُهَا جُزْءاً طَلَبُ الحَلَال** - قطعاً المصداقُ الأوّل لطلب الحلالَ هو للحلال الَّذي نُدخلهُ في عقولنا وقلوبنا، وبعدَ ذلك يأتي الحديثُ عن الحلال الَّذي

نُدخلهُ في بطوننا، وإلَّا فإنَّ الَّذي يكونُ همّهُ أن يُدخل الحلال في جوفه في بطنه فهذا هوَ الَّذي ستكونُ قيمتهُ بقيمةِ ما يخرجُ من بطنه، هذا الحديثُ الَّذي يُخبرنا؛ (عن أنَّ الإنسان إذا كانَ همّهُ في بطنهِ فقيمتهُ ما يخرجُ مِن بطنه).

الحلالُ الَّذي هو أفضلُ أجزاء العبادة: **المعرفةُ**.

رسولُ الله صلَّى الله عليه وآله ماذا يقول؟ (**أَفْضَلُ عِبَادَةِ أُمَّتِي انْتِظَارُ الفَرَجِ**)، ولكنَّ انتظار الفرج يتوقَّفُ على المعرفة، من دون المعرفة كيفَ سيتحقَّقُ معنى انتظار الفرج بالنحو الَّذي يريدهُ إمامُ زماننا صلواتُ اللهِ عليه، إمامنا الكاظمُ بيَّن لنا هذه الحقيقة: (**أَفْضَلُ العِبَادَةِ بَعْدَ الْمَعْرِفَةِ انْتِظَارُ الفَرَجِ**)، بعدَ المعرفة، فالمعرفةُ هي العبادةُ الأولى، هي العبادةُ الأساس، هي كُلُّ العبادة، هي حقيقةُ العبادةِ العقيدةُ السَّليمة.

- **اتَّفقنا على أنَّ برنامج الحياة**؛ هو برنامج العبادة.

- **وأنَّ العبادة**؛ برنامجُ حياة.

- **وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ**؛ لِيُنَفِّذونَ برنامج حياة من قِبل الله سبحانهُ وتعالى.

ما أنتم تقرؤون يا أشياعَ عليٍّ تقرؤون في سورة المائدة في كلابِ الصيد: ﴿**يَسْأَلُونَكَ مَاذَا أُحِلَّ لَهُمْ قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ وَمَا عَلَّمْتُم مِّنَ الْجَوَارِحِ** - إنَّها كلابُ الصيد - **وَمَا عَلَّمْتُم مِّنَ الْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ اللهُ**﴾، حتَّى كلابُ الصيد فإنَّ الله رسمَ لها برنامجاً، فهل أنَّ آلَ مُحمَّد لم يرسموا لنا برنامجاً لتفسير قُرآنهم ولاستنباط أحكامهم الشرعية كي نعودَ إلى النواصب وكي نعود إلى منهج التفسير العمري؟! مثلما فعلَ هؤلاء الثولان من آيات الله العُظمى في النَّجف، إذا كانَ اللهُ قد رسم برنامجاً لكلابِ الصيد، مُحَمَّدٌ وآلُ مُحَمَّد رسموا برنامجاً لكلاب الصيد، ﴿**تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ اللهُ**﴾، برنامجٌ للكلاب، فهل أنَّ مُحَمَّداً وآلَ مُحَمَّد لم يرسموا لنا برنامجاً لتفسير قُرآنهم كي يتراكض هؤلاء الثولان من زمان الطوسي إلى يومنا هذا إلى تفاسير سقيفة بني ساعدة كي يضحكوا على أجدادنا وآبائنا وكي يضحكوا علينا، لا زالوا يضحكون عليكم وأنتم تُهلِّلون وتُقدِّسون لهم.

الحديثُ الأوَّلُ من الباب التاسع من الجزء الأوَّل من (عللُ الشرائع) للشيخ الصدوق، البابُ التاسع (علَّةُ خلق الخلق واختلاف أحوالهم)، الحديثُ الأوَّلُ: **بِسَنده، عَن إِمَامنا الصَّادق صَلواتُ الله وسَلامهُ عَلَيْه يقول: خَرَجَ الحُسَينُ بنُ عَليّ عَلَى أَصْحَابِه فَقَالَ: أَيُّهَا النَّاس إِنَّ اللهَ جَلَّ ذِكْرُهُ مَا خَلَقَ العِبَادَ إِلَّا لِيَعْرِفُوه فَإِذَا عَرَفُوه عَبَدُوه** - تُلاحظونَ أنَّ التعانُقَ موجودٌ على طول الخط فيما بينَ المعرفة والعبادة، فإنَّ العبادةَ من دونِ معرفة لا قيمةَ لها، والمعرفةُ مُقدِّمةٌ أساسيَّةٌ للعبادة، بل إنَّ جوهر العبادة المعرفة، بل إنَّ العبادة هي المعرفة، والمعرفةُ هي العبادة، ولكنَّ الحديثَ يتَّخذُ حيثيات من جهات مُتعدِّدة يُنظَرُ إليها في تشخيص الحقائق - **فَإِذَا عَبَدُوه اسْتَغْنَوا بِعِبَادَتِه عَن عِبَادَةِ مَن سِوَاه، فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ يَا ابْنَ رَسُولِ الله، بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي فَمَا مَعْرِفَةُ اللَه؟ فَقَالَ الحُسَينُ صَلواتُ الله وسَلامُه عَلَيه: مَعْرِفَةُ أَهْلِ كُلِّ زَمَانٍ إِمَامَهُم الَّذِي يَجِبُ عَلَيْهِم طَاعَتُه** - هذه الكلماتُ لخَّصت كُلَّ الحديث المتقدِّم في الصحيفة الخامسة الَّتي عنوانها؛ (شؤونُ عقيدة التوحيد).

في الجزء الثاني من (الكافي الشَريف)، الطبعةُ الَّتي قرأتُ عليكم منها في الحلقات الماضية، صفحة (١١٠)، بابُ العبادة، الحديث الثاني: **بِسَنَده، عَن أَبِي جَمِيلَةَ قَالَ، قَالَ أَبُو عَبْد الله** - إمامنا الصَّادقُ صلواتُ الله عليه - **قَالَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالى** - هذا حديثٌ يُحدِّثنا به إمامنا الصَّادقُ عن اللهِ مباشرةً، الإمامُ الصَّادقُ يقول: **قَالَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: يَا عِبَادِيَ الصِّدِّيقِين، تَنَعَّمُوْا بِعِبَادَتِي فِي الدُّنْيَا فَإِنَّكُم تَتَنَعَّمُونَ بِهَا فِي الآخِرَة** - في برنامج العبادة في الآخرة، نحنُ لا نتحدَّثُ عن برنامجٍ للعبادة في الآخرة، عن برنامجٍ للعبادة في الدنيا، ولكنَّنا خُلقنا للعبادة، ﴿**وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ**﴾، فهذه الآيةُ لا تتحدَّثُ عن الدنيا، الدنيا مرحلةٌ من مراحل خلقنا، دارٌ من عدد من الدور والمراحل الَّتي نمرّ بها إلى النقطة الأخيرة إلى نُقطة لقاء الله سبحانهُ وتعالى، وفي الحقيقة هو لقاءٌ بمُحمَّد وآل مُحمَّد ولكن بمذاق جديد، ولكن بلون جديد، بهذا البرنامج الَّذي رسمهُ الله لنا ببرنامج مُحمَّد وآل مُحمَّد وبنحوٍ دقيقٍ ببرنامج بيعة الغدير المُحمَّديَّة، تلكَ هي العبادةُ الَّتي إذا كُنَّا قد بايعنا بصدقٍ فعلينا أن نتنعَّم بها، والحديثُ عن نعيمٍ لا بمعنى نعيم الشهوات واللذائذ الماديَّة، وإذا كانَ هذا مُتوفِّراً أيضاً بحسب الأسباب الَّتي تتهيأ للإنسان فإنَّهُ سيقعُ في حاشية الأمر، من هنا عُبِّر عن النَّعيم في الكتاب الكريم في تأويلهم وتفسيرهم: (من أنَّهُ ولايةُ عليِّ بنِ أبي طالب)، فالنَّعيمُ إن كانَ في الدنيا أو كانَ في الآخرة إنَّها صُورٌ حقيقيَّةٌ تُحدِّثنا عن ولاية عليٍّ صلواتُ الله وسلامهُ عليه.

الحديثُ الَّذي بعد هذا الحديث أيضاً عن إمامنا الصَّادق صلواتُ الله وسلامهُ عليه يُحدِّثنا عن رسول الله، أئمَّتنا حينما يقولون: (قَالَ رَسُولُ الله)، إنَّهم لا يُحدِّثوننا بحديث رواية، إنَّهم يُحدِّثوننا بحديث علمهم المطلق، فهم يسمعونَ رسول الله، فإنَّ صوتَ رسول الله لم يكن محجوباً عنهم، الأزمنةُ الماضيةُ والحاضرةُ والمستقبليةُ بالنسبة للإمام المعصوم تُشكِّلُ نُقطةً واحدة، نحنُ نتحدَّثُ عن مُحمَّد وآلِ مُحمَّد الَّذين نُخاطبهم في الزيارة الجامعة الكبيرة: (وذَلَّ كُلُّ شَيء لَكُم)، إنَّني أُشيرُ إلى الوجه الباطن منهم.

فالإمامُ هنا يُحدِّثنا عَن رسول الله صلَّى اللهُ عليه وآله: **أَفْضَلُ النَّاسِ مَنْ عَشِقَ العِبَادَة** - هذا هو العشقُ الَّذي أشرتُ إليه في حلقات سابقة من أنَّ العشق هو جزءٌ من ثقافة العترة الطاهرة - **أَفْضَلُ النَّاسِ مَن عَشِقَ العِبَادَةَ فَعَانَقَهَا وَأَحَبَّهَا بِقَلْبِهِ وَبَاشَرَهَا بِجَسَدِهِ وَتَفَرَّغَ لَهَا** - هَذا هوَ التطبيقُ العمليُّ للركن الرابع من أركان العقيدة التوحيديَّة.

ماذا قال الصَّادقُ عن خدمة صاحب الأمر؟ (لَو أَدْرَكتُهُ لَخَدَمتَه أَيَّامَ حَيَاتِي)، هذا هو التفرّغُ للعشق وللعبادة الحقيقيَّة، ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اصْبِرُواْ وَصَابِرُواْ**﴾ ، اصبروا على دينكم، على طاعاتكم، وصابروا أعدائكم، ورابطوا إمامكم، تلكَ هي المرابطةُ الَّتي هيَ مُرابطةُ الأحرار، (**لَو أَدْرَكتُهُ** - كما يقولُ الصَّادقُ لو أدركت القائم - **لَخَدَمتُهُ أَيَّامَ حَيَاتِي**) ، هذا هو العشقُ، وهذه هي العبادةُ الحقيقيَّةُ، وهذا هو تطبيقٌ واضحٌ وعمليٌّ صريح لمضمون بيعة الغدير في وجهها الثابت وفي وجهها المتحرك - **أَفْضَلُ النَّاسِ مَنْ عَشِقَ العِبَادَة فَعَانَقَهَا وَأَحَبَّهَا بِقَلْبِهِ وَبَاشَرَهَا بِجَسَدِه وَتَفَرَّغَ لَهَا فَهُوَ لا يُبالي عَلَى مَا أَصْبَحَ مِنَ الدُّنْيَا عَلَى عُسْرٍ أم عَلَى يُسْر** - هو يعيشُ في نعيم، في نعيم القُربِ من إمام زمانه، وذاكَ هو النعيمُ الحقيقيّ، نعيمُ العُقول والقلوب، نعيمُ العقيدة السليمة.

أوضحُ مصداق لهذا العشق ولهذه المضامين إنَّهم أنصارُ الحُسين، (**لَا أعرِفُ أَصْحَاباً، لَا أَعْلَمُ أَصْحَاباً خَيْراً مِن أَصْحَابِي** - إنَّها كلمةُ سَيِّد الشهداء - **وَلَا أَهْلَ بَيت أَبَرّ وَأَوْفَى من أَهْلِ بَيتِي**) ، كلماتُ الحُسين الَّتي تعرفونها وسمعتم بها مراراً، فهوَ لا يعرفُ ولا يعلَمُ أصحاباً خيراً من أصحابه، هذه الأوصافُ كانت تتجلَّى فيهم، والبعضُ منهم تجلَّت فيه هذه الأوصافُ في الأيَّام الَّتي قضاها مع الحُسين، قبلَ تلكَ الأيام ما كانَ يمتلك ولا واحد من التريليون

من تلكَ الأوصاف، لكنَّهُ حينَ توجّه للحُسينِ بصدقٍ جذبهُ أبو عبد الله، وتلكَ الجذبةُ هي الَّتي غيّرتهُ بالكامل بالمطلق، فجاءوْا مِصداقاً واضحاً لهذا المنطق الـمُحَمّديّ.

في الجزء الحادي والأربعين من (بحار الأنوار) للشيخ المجلسي / طبعة دار إحياء التراث العربي / صفحة ٢٩٥ / الحديث الثامن عشر، نقلهُ عن الخرائج والجرائح: **وَقَالَ البَاقِرُ** - إمامنا الباقرُ صلواتُ الله وسلامهُ عليه يقول: **خَرَجَ عَلِيّ** - أمير المؤمنين - **يَسِيْرُ بِالنَّاسِ حَتَّى إِذَا كَانَ بِكَرْبَلاء عَلَى مِيلَيْنِ أَوْ مِيل تَقَدَّم بَيْنَ أَيْدِيْهِم حَتَّى طَافَ بِمَكَانٍ يُقَالُ لَهُ: الْمَقْدُفَان، فَقَالَ: قُتِلَ فِيهَا** - قُتل في هذه الأرض - **مِئَتَا نَبِيٍ وَمِئَتَا سِبط كُلُّهُم شُهَدَاء** - يتحدَّثُ عن الأمم الماضية، ثُمّ يتحدَّثُ عن الأيّام الآتية أمير المؤمنين - **وَمَنَاخَ رِكَابٍ** - هنا ستنوخُ ركابهم ستنوخُ قافلتهم، إنَّهم الأحبّةُ الَّذين قال عنهم أمير المؤمنين وهو يُخاطبُ أرض كربلاء: (**طُوبَى لَك مِنْ تُربَة عَلَيْهَا تُرَاقُ دِمَاءُ الأَحِبَّة** - إنَّهُ يتحدَّثُ عن الأحبّة هؤلاء - **طُوبَى لَك من تُربَة عَلَيْهَا تُرَاقُ دِمَاءُ الأَحِبَّة**). أميرُ المؤمنين هو الَّذي يصفهم، فهو يَتحدَّثُ عَن أنَّ كربلاء: **مَنَاخُ رِكَابٍ وَمَصَارِعُ عُشَّاقِ شُهَدَاء لا يَسْبِقُهُم مَن كَانَ قَبلَهم وَلَا يَلحَقُهُم مَنْ بَعدَهُم** - كلامهم واحد، مثلما قال الحسينُ: (**لَا أَعلَمُ أَصْحَاباً**)، فالحُسينُ لا يتحدَّثُ عن علمه كما أتحدَّثُ عن علمي.

فالفقرُ في جنبِ قائمِ آل مُحَمَّد أَحَبُّ إلى هؤلاء العُشَّاق من الغنى بجانبِ غيره، والمرضُ بجانبه أحبُّ إليهم من الصحَّة والعافية والقُوَّة والنشاط بجانبِ غيره، وهوانُ الدنيا بجانبه حلاوةٌ ولذَّةٌ أحبّ إلى قلوبهم من عزَّة الدنيا بجانبِ غيرهم من حُثالات بني البشر، من زعاماتِ السياسة، أو من حثالاتِ بني البشر من زعاماتِ الدين، هذا هو العشقُ، وهذه هي العبادةُ ولهذا خُلقنا ، **﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾**، فإنَّ اللهَ خلقَ الدنيا، فإنَّ الله خلقَ الوجود لهم وبهم فلابُدَّ أن يكون برنامجُ العبادةِ الَّذي لأجلهِ خُلقنا لابُدَّ أن يكون مرتبطاً بهم ولهم؛ (**أَيْنَ وَجهُ اللهِ الَّذِي إِلَيهِ يَتوجَّهُ الأَوْلِيَاء**).

سأقرأ عليكم حديثاً هذا الحديثُ لو لم يأتِ غيرهُ لكفانا في معرفة كيفيّة العبادة:

في الجزء الأول من (الكافي الشريف) ومن كتاب التوحيد ومن البَاب الَّذي عنوانهُ؛ (باب المعبود)، الحديثُ الأوّل: **عَن إِمَامنَا الصَّادِقِ صَلواتُ الله وسَلامهُ عَلَيه يقول: مَنْ عَبَدَ الله بِالتَوَهُّمِ فَقَد كَفَر** - هذا ا لأمرُ أتركهُ لكم، أنتم كيفَ تعبدون الله؟ نحنُ نتحدَّثُ عن العبادةِ بالمعنى العام الَّذي هو برنامجٌ مفتوحٌ في كُلِّ الحياة، وهذا الأمر نحنُ غافلون عنه هذا أمرٌ تنظيريّ، ونتحدَّثُ عن بعض الأجزاء الَّتي نحنُ نحولها إلى عبادة بالنيّة الصحيحة للعبادة، وهذا أمرٌ لا يفعلهُ كثيرون يفعلهُ قليلون، لكنني أوجّهُ النظر إلى الأمر الَّذي يفعلهُ جميع المتديّنين، جميعُ الَّذين يقولون نحنُ شيعةٌ للحُجَّة بن الحسن، إنَّها العباداتُ الواجبةُ وعلى رأسها الصَّلاة، وعلى رأس الصَّلاةِ الصلواتُ اليوميّةُ المفروضة، أنتم تعرفون أنفسكم، أنا لا أريدُ أن أُشخِّص لكم كيف هي عبادتكم.

الإمامُ الصَّادقُ هكذا يقول: **مَنْ عَبَدَ الله بِالتَوَهُّمِ فَقَد كَفَر** - ما المراد من التوهُّم؟ هناكَ الوهم، الوهمُ الَّذي هو جزءٌ من قُدرة الإنسانِ على التخيّل، فليس كُلُّ الخيالِ وهم، بعضُ الخيالِ وهم، حينما نقول توهُّم، تفعُّل، الإنسانُ هو الَّذي يُحاولُ أن يرسم صُورةً، أن يصنع شيئاً من مزجِ معلوماتٍ في ذهنه معَ صورٍ يستطيعُ أن يصنعها بسببِ ما عندهُ من قدرةٍ على التخيّل، فمن جُملة القدرات الَّتي عندَ الإنسانِ قدرتهُ على التخيل، إنَّهُ يتخيَّلُ الأمور، تارةً يبني خيالهُ على مُفردات حقيقيّة موجودة في ذهنه، وتارةً يصنعُ مفرداتٍ من خلال المفردات الحقيقيّة، يصنعُ مُفرداتٍ خياليّةً وعلى ضوءِ تلكَ المفردات الخياليّة الَّتي استنتجها واشتقَّها واصطنعها من خلال مفرداتٍ حقيقيّةٍ في خُزانة ذاكرته، في مركزِ تصوّراته في ذهنه، ويصنعُ صورةٌ وهميّةً ولكنَّهُ يقومُ بذلك بتنقيّة بعمليّة توهُّم تفعُّل، ولم تكن قضيّةً طارئةً مثلاً أنَّهُ يُركِّزُ النَظر في الظَلام ويرى شيئاً وهمياً، هذا شيء طارئ، الإمامُ لا يتحدَّثُ هنا عن الأوهامِ الطارئة، ذلكَ وهم، الإمامُ يتحدَّثُ عن توهُّم، التوهُّم شيء والوهم شيء..

الإمامُ هنا يقول: (**مَن عَبَدَ الله بالتَوَهُّم**) ، هناك عنايةٌ خياليّةٌ، عنايةٌ ذهنيّةٌ مقصودةٌ من قبلَ الإنسانِ أن يُحقِّقَ شيئاً في عالَمِ خياله وأوهامه، وبعدَ ذلكَ يتوجَّهُ إليه بالعبادة، هذا كُفر، أكثرُ النَّاس هكذا تفعل، لماذا؟ لأنَّهم لا يعرفونَ عقيدةَ التوحيد، ولا يعرفون الجهة الَّتي يجبُ عليهم أن يتوجَّهوْا إليها، فلذا هم إمّا أن يتوجّهوا بالمطلق ولا يدرون لمن توجّهوا، يؤدّون صلواتهم يُؤدّون عباداتهم هكذا بالمطلق، وهذا هو أيضاً نحوٌ من أنحاء التوهُّم، فليسَ هناكَ من جهةٍ يتوجَّهون إليها، يقفُ المصلّي باتجاه القبلة، وكذلك الصائم في نيته لأداء هذه العبادة ينوي باتجاه شيءٍ مُطلق ليسَ مُشخَّصاً ليسَ مُخصَّصاً، بينما سبحانهُ وتعالى حينَ أمرَ الملائكة بالسجودِ وجّههم إلى مكانٍ معين.

لابُدَّ أن ألفت أنظاركم إلى نقطتين:

النقطةُ الأولى : العبادةُ، الصَّلاةُ، الصيامُ، الحجّ، العباداتُ المخصوصةُ الَّتي خصَّصها لنا مُحَمّدٌ وآلُ مُحَمّد في دينهم جعلوْا تلكَ العباداتِ نقاطاً لامعةً في برنامج العبادة الممتد الواسع، هذه النقاطُ اللا معةُ البرّاقةُ المميّزةُ والَّتي هي العباداتُ، تتألّفُ من نيةٍ وسأحدِّثكم عن النية، لأنَّ النيةَ الَّتي أنتم عليها في عباداتكم ما هي بنيةٍ صحيحةٍ وفقاً لفقه العترة، هذه نيةُ النواصب الَّتي أنتم تُصلُّونَ بها وفقاً لفقه مراجع النَّجف..

العبادةُ تتألّفُ من نيةٍ ومن توجُّهٍ ومن طقوسٍ وأحكامها، هناكَ طقوس ولها أحكام سوف لن أُحدِّثكم عن الطقوس والأحكام فهذا بابٌ وسيعٌ، سأُحدِّثكم عن النيةِ وهي أساسُ العبادة، وسأُحدِّثكم عن التوجُّه والتوجُّه هو روحُ العبادة، أمَّا الطقوسُ وأحكامُ الطقوس فتلكَ هي أجسامُ العبادات، أبدانُ العبادات، روحُ العبادة في التوجّه إلى أيِّ جهة نتوجّه، كيف نتوجّه، وأساسُ العبادة النية.

هناك نقطةٌ ثانيةٌ : لابُدَّ أن نُفرق بين أوهامِ عُقولنا الَّتي يُعبِّرُ عنها بأذهاننا، وبين أوهام البَصيرة الَّتي لا نمتلكها، نحنُ لا نمتلكُ البصيرة، من أين تأتينا البصيرة؟! من أين تأتينا البصيرة وعقولنا وقلوبنا ملئا بخراءِ حوزة النَّجف، ما هم جاءونا بدينٍ خرائي، علينا أن نُفرق بين وَهمِ عُقولنا ووَهمِ أذهاننا وبين وهم البصيرة، وهمُ البصيرة شيء آخر.

هكذا نقرأ في أدعيتهم على سبيلِ المثال:

في (مناجاة العارفين)، المروية عن إمامنا السجَّاد، في (مفاتيح الجنان)، فماذا نقرأ في مُناجاة العارفين بعد أن مرَّ علينا الكلام؟

قَد كُشفَ الغطَاءُ عَنْ أَبْصَارِهِم، وَانْجلَت - عن أبصارهم؛ عن أبصارِ بصائرهم وليس عن أبصارِ ما يدركون بحواسهم - **قَد كُشفَ الغطَاءُ عَن أَبْصَارِهِم، وَانْجلَت ظُلْمَةُ الرَّيبِ عَن عَقَائدهم وَضَمَائرِهِم، وَانْتَفَتْ مُخَالَجَةُ الشَكِّ عَن قُلُوبِهِم وَسَرَائِرِهِم، وَانْشَرَحَت بِتَحْقِيقِ الْمَعْرِفَة صُدُورُهُم** - تلكَ هي البصيرة الَّتي لا نملكُ شيئاً منها، أمّا مراجع النَّجف أنفسهم لا يتخيّلون هذه المعاني، لأنَّ هذه الأدعية أساساً هي ضعيفةُ الأسانيد، مناجاةُ العارفين من الأدعيةِ الضعيفةِ السند بحسبِ قذاراتِ علم القنادر الَّذي يُسمّى بعلم الرجال.

هذه معرفةٌ بمستوى البصيرة، لا بمستوى العقل الَّذي نملكهُ، ولا بمستوى القلب الَّذي نملكهُ، ولا بمستوى الحواس الَّتي نملكها، هذهِ المدارُك العاديّةُ عندَ الجميع، أمَّا البصيرةُ فهي قُوَّةُ إدراكٍ خاصّة تُمنحُ منحاً وهبياً وليسَ كسبياً.

تستمرُّ المناجاة، فأناسٌ بهذا المستوى منَ الانبلاج والوضوح العقائدي، ماذا تقولُ المناجاة؟ - **إِلَهِي** - بعد ذلك الوضوح - **إِلَهِي مَا أَلَذَّ خَوَاطِرَ الإِلْهَامِ بِذِكْرِكَ عَلَى الْقُلُوب، وَمَا أَحْلَى الْمَسِيْرَ إِلَيْكَ بِالأَوْهَامِ فِي مَسَالك الغُيُوب** - هذهِ أوهامُ البصيرة، أوهامُ البصيرةِ شيءٌ آخر، هذهِ المضامينُ لا يعرفها مَراجعكم في النَّجف، هم لا يعرفونَ شيئاً من ثقافة العترة الطاهَرة..

هناك وجهٌ يختفي في هذه الحياة أنتم لا تدركونهُ، نحنُ لا ندركهُ، أنا وأنتم على حدٍّ سواء، حينما نذهبُ إلى سورة الروم وإلى الآية السابعة، الَّتي قبلها: ﴿**وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ** - تأتي الآيةُ الَّتي بعدها: **يَعْلَمُونَ ظَاهِراً مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ** - عنَ الآخرة؛ ليست الآخرة، وإنَّما عن الوجه الباطَن - **يَعْلَمُونَ ظَاهِراً مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ**﴾ ، عن الحياة الدنيا الآخرة، عن الوجهِ الباطِنِ لهذهِ الحياة، لن نستطيعَ أن نصل إلى هذا الوجه من دونِ أن نلتصقَ بظاهرهم وباطنهم..

﴿**وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ** ۝ **يَعْلَمُونَ ظَاهِراً مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا** - إذاً أين الوجهُ الآخر؟ نحنُ غافلون عنه - **وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ**﴾، غافلونَ عن الوجه الآخر.

هذا الَّذي أقرأهُ عليكم من (مناجاة العارفين) هو جزءٌ من الوجه الَّذي نحنُ عنهُ غافلون، وإلَّا أين هذه المعاني في حياتنا أو في حياة آبائنا أو في حياة أجدادنا؟: **إِلَهِي مَا أَلَذَّ خَوَاطِرَ الإِلْهَامِ بِذِكْرِكَ عَلَى الْقُلُوب، وَمَا أَحْلَى الْمَسِيْرَ إِلَيْكَ بِالأَوْهَامِ** - نسيرُ إليه بالأوهام، ما هي أوهامُ عُقولنا، الإمام هنا يقول: (مَن عَبَدَ الله بِالتَوَهُّمِ فَقَدَ كَفَر) ، ما هو السيرُ إليه بالأوهام هو هذا توهُّم! السيرُ إليه بالأوهام توهُّم لكنَّ الحديث هنا عن الوجهِ الآخرِ من الحياة، عن البصيرة، وهذا واضحٌ في الأدعية والمناجيات.

هذا دعاءٌ من أدعيةِ شهرِ رجب، في (المفاتيح)، الدعاءُ الَّذي أوَّلهُ؛ (**اللَّهُمَّ يَا ذَا الْمَنِنِ السَّابِغَة وَالآلَاء الوَازِعَة وَالرَّحمَة الوَاسعَة وَالْقُدْرَة الجَامعَة**)، هذا أوَّلُ الدعاء، ماذا سيقولُ الدعاء وهو في أعمقِ معاني التوحيد؟: (**يَا مَنْ، يَا مَنْ، يَا مَنْ، يَا مَنْ حَارَتْ فِي كِبْرِيَاء هَيْبَته دَقَائقُ لَطَائف الأَوْهَام** - هناكَ أوهام ولها لطائف، وللّطائف دقائق، نحنُ لا نتحدَّثُ عن أوهام الخيال، (مَن عَبَدَ الله بأوهام الخيال فَقَدَ كَفَر)، الإمامُ الصَّادقُ يقول، هذه الأدعيةُ تتحدَّثُ عن أوهام البصيرة وأوهامُ البصيرةِ شيءٌ آخر، هذا الدعاء ماذا يقول؟ - **يَا مَنْ حَارَتْ فِي كِبْرِيَاء هَيْبَته دَقَائقُ لَطَائف الأَوْهَام وَانْحَسَرَت دُونَ إِدْرَاك عَظَمَته خَطَائفُ أَبْصَار الأَنَام**) ، فالحديثُ هنا عن أوهام لها لطائف ولها دقائق، أوهامُ البصائرِ لها درجاتٌ ولها مراتب، وهذا حديثٌ أجنبي بالمطلَقِ عنكَم..